الفصل الثانى

تاريخ استئناس الإنسان للكلب

الترويض والاستئناس

العلاقة الوطيدة بين الإنسان والكلب قديمة للغاية حيث تبرهن الرسوم البدائية للإنسان الأول أن الكلب شارك الإنسان فى رحلات الصيد كما أن النبش فى الآثار القديمة أثبت أن الكلب عاش مع الإنسان جنبا إلى جنب منذ ١٤٠٠٠ سنة على الأقل.

العلاقة بين الإنسان والكلب تقليدية منذ القدم.

يوجد العديد من النظريات حول الأصول الأولى لإقامة العلاقة بين الإنسان والكلب والاعتقاد السائد أن الذئاب بدأت فى التسكع حول معسكرات الإنسان لتتغذى على بقايا الأطعمة التى يقتات بها وفى مقابل حصولها على هذا المدد الغذائى فإن الذئاب أقامت نظاما لحماية الإنسان كالإعلان عن قرب وصول حيوانات مفترسة كما صاحبت الإنسان فى رحلات الصيد لمشاركته فى عمليات الهجوم على الفريسة واقتطاع جزء منها.

وعلى وجه العموم فإن الدراسات الحديثة فتحت مجالا واسعا لمناقشة هذه النظرية وطرحت العديد من الأسئلة حول موضوع النشأة الأولى للعلاقة بين الإنسان وعائلة Canin فإن المعروف أن الذئاب حيوانات برية مارست تجربة الافتراس والصيد. والواقع أن التجارب أثبتت أنه حتى فى الحالات التى يتولى فيها الإنسان تربيته للذئاب وترويضها منذ اللحظة الأولى لولادتها فى محاولة لاستئناسها فإنها تعود إلى طبيعتها المفترسة عند أول فرصة تسنح لها. مثل هذه الظواهر دفعت العلماء للاعتقاد بأن دراسة تاريخ الكلب وعلاقته بالجنس البشرى أكثر تعقيدا مما يظن البعض.

هناك بعض الظنون بأن الوقت الذى تحول فيه نمط حياة الإنسان من الصيد المتجول إلى حياة الاستقرار فى هذه الفترة انتشرت الذئاب حول مواقع مقالب

النفايات التى تقع حول حدود القرى حيث تتوافر لهذه الحيوانات الفرصة للبحث والنبش عن بقايا الطعام. هذه الذئاب أصبحت أقل شراسة واقتربت من الإنسان الذى توجد شواهد تدل على أن وضع الذئاب نفسها ضمن قائمة الطعام المحببة له.

ويعتقد أن بعض الذئاب الصغيرة الشجاعة تسللت داخل معسكرات الإنسان كى تسمن أكثر وسعيا للوصول إلى المكان الرئيسى لمصدر الطعام بينما أظهرت أفراد أخرى مهارة فى صيد الحيوانات البرية أو تنبيه الإنسان عن اقتراب عدو أو غريب. وعند هذه النقطة تحول حدث تاريخى عندما قام الإنسان بانتخاب أفراد صغيرة السن وأقل نشاطا كى تصبح عضوا فعالا ضمن فريق الصيد وعندها احتاج الذئب إلى تغيير العديد من سلوكياته الوحشية وعلى سبيل المثال تحورت وظيفة العين ليصبح المطلوب منها التركيز والتعرف على الفريسة كما تحتاج المطاردة إلى اتباع وسائل للتسلل الخفى للاقتراب بقدر كاف من الفريسة للاستفادة من عنصر المفاجأة كما تحتاج فى الصيد إلى القدرة على طرح الفريسة أرضا ثم العض بغرض الإمساك بها لحين وصول بقية أفراد القطيع وأخيرا القتل.

من المحتم أن بعضا من هذه الكلاب تفوقت على نظائرها فيما يتعلق بمسألة الصيد.. كما تتواجد أفراد منها تتميز بمهارات خاصة. فمنها صاحب الكفاءة العالية فى التسلل الخفى وراء الفريسة ولكنها ذات كفاءة أقل فى مسألة القتل. مثل هذه الأنواع استخدمها الإنسان فى الرعى بينما احتفظت أفراد أخرى بشقاوة الطفولة وحب اللهو ولكنها لا تصلح لعمليات المطاردة والصيد وهذه استفاد منها الإنسان فى مجال الحراسة. كما تتوافر أفراد أخرى من الكلاب تسيطر عليها غريزة حب التملك وهذه قام الإنسان بتشجيعها بغرض الاستفادة منها فى مجالات الصيد لاسترداد واكتشاف الفرائس المقتولة.

وبهذه الطريقة فإن الكلاب ذات المهارات العالية التى وجد الإنسان إمكانية الاستفادة منها احتفظ بها وحرص على تربيتها والعناية بها. بينما قتل الإنسان الأفراد الأخرى وتغذى بلحومها. والأجيال الباقية من هذه الحيوانات هى كلابنا الأليفة المستأنسة.